

الفريسة السعودية التي "ترها وشت" على صيدها السعودية و قطر وزاحت بجيدها ..



قراءةٌ في المُقابلة التلفزيونية للشيخ حمد بن جاسم وما إذا كانت أدت أغراضها في إرضاء السعودية والذئاب التي يمكن أن تترتب عليها

عبد الباري عطوان

مُقابلات الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني، رئيس وزراء، وزير خارجيّة قطر السابق، تُثير الاهتمام، وتتجذب الكثيرون من المشاهدين والفتراء، سواء كانوا من المواطنين العاديين، أو من كبار المسؤولين، لأن الرجل يتحدى ببساطة وجراة وعفوية، ويكشف في كل مرة عن العديد من المعلومات والواقع، على غير عادة المسؤولين العرب.

في مقابلته الأخيرة التي خص بها تلفزيون دولة قطر الرسمي، (وليس قناة "الجزيرة" التي قال أنسه كان أحد مؤسسيها وإنتم على ذلك)، خاص الشيخ بن جاسم في مواضيع عديدة، لشرح موقف بلاده، من أبرزها الموضوع السوري، في محاولة لتبرئة قطر من بعض جوانب خلافها مع السعودية (الحقيقة الكبيرة)، وعاتها على انقلابها على الموقف القطري، بعد تنسيق وتحالف تام بين الجانبين، ولكن هذا العتاب لم يجد آذانا صاغية، كما أن التطورات المتلاحقة في سوريا هذه الأيام، تأتي في غير مصلحة التطرفين، والدّوحة على وجه الخصم.

الشيخ حمد بن جاسم كشف أنسه التقى العاهل السعودي الراحل الملك عبد الله بن عبد العزيز في الرياض، وأبلغه بوجود خطوة قطرية بالتنسيق مع الولايات الأمريكية وتركيا بالتدخل في سوريا في بداية

الأزمة، وأن الملك عبد الله بارك هذه الخطوة وأعطاه الضوء الأخضر، وقال "نحن معكم، أنتم سيروا في هذا الموضوع ونحن ننسق، ولكن فلتبقوا أنتم مُستلمين الموضوع"، ثم "تهاوشننا" على الفريسة "فضّاعت مِنّْا".

والأهم من ذلك أن الشيخ بن جاسم اعترف أن الجميع تورط في سورية، إلى درجة دعم جبهة النصرة، وبتنسيق كامل مع القوات الأمريكية (وكالة المخابرات المركزية)، التي كانت تُشرف على توزيع كُل شيء (المال والسلاح)، وعندما أصبحت النصرة غير مقبولة (جرى وضعها على قائمة الإرهاب) توقف الدعم لها.

لا نَعرف رد السلطات السعودية على هذه المعلومات، مثلاً لا نَعرف ما إذا كانت وغيرها مما وَرد في المقابلة، قد خفّف من حدة الخلاف مع قطر، وقرّب بين البلدين، ولكن ما نَعرفه أن هذا الكشف نَزل بـ ١٠ سلاماً على قلب الحكومة السورية ومؤيداً لها الذين دَعموها طوال السنّوات الماضية، وما يُؤكّد وجهاً نَظرها التي تبنّتها مُنذ بداية الأزمة، وتُؤكّد أن هُنّاك مُؤامرة خارجية بزعامة الولايات المتحدة لتغيير النّظام في دمشق خدمةً لمَشروع التّفتّت والتّقسيم. سورية كانت "فريسة" فعلاً، تقاتل على "جلدها" الصياديون من أكثر من ستين دولة، انضموا تحت منظومة "أصدقاء سورية" بزعامة أمريكا، وكان دور السعودية وقطر مَحصوراً في التّمويل والتّسلیح، أمّا دُول عربية أخرى فلَم يَزد عن دور "المُحلّل"، أو شاهد الزّور.

"التّهاوش" لم يكن سبب فرار "الفريسة" من الشّياك السعوديّة القطرية، وإن كان، فإذاً سببها مشي، ولقد عذرنا الأشقاء السوريين على تكرار استخدام توصيف "الفريسة" غير المحبّ، فناقل الكُفر ليس بكافر، أمّا الأسباب الأساسية فهي صُمود النّظام، وعدم انهيار مؤسّساته، أبرزها المُؤسّستان الأمنية والعسكرية، وجود حاضنةٍ شعبيةٍ، كَبُرت أو صَغُرت، كانت تلتّف حولهما وقيادتهما في دمشق، حتى في أصعب الأوقات وأكثرها حرارةً، وفي ظلّ ضَخ إعلامي استخدمت فيه إمبراطوريات ومؤسسات عُظمى تَملّك ميزانيات بالمليارات، وتَغيبت كاملة للإعلام السوري (جرى حَظْره وحَذفه من الأقمار الصناعية العربية، وعرب سات تحديدًا بقرار من الجامعة العربية، وزراء إعلامها)، رغم أن هُنّاك مآخذ كثيرة على هذا الإعلام وحرفيّته.

الشيخ حمد بن جاسم أعاد الكثرين إلى الوراء سبع سنوات، وبالتالي حَذف إلى دمشق حاماً عرضاً بـ 15 مليار دولار كدفعـة أولى مَشروطة بابتعاد سورية عن إيران، وانضمّاها إلى "محور الاعتدال" العربي، ومن سُخريات القدر أن المملكة العربية السعودية التي أطاحت بدولة قطر من مقعد القيادة في المَلف السوري، وأرجعتها إلى المَقاعد الخليفة، مثلاً اشتكي الشيخ بن جاسم في مقابلة أخرى أكثر تشويقاً مع صحيفة "الفايكنشال تايمز"، باتت أقرب إلى روسيا، وبالتالي سوريّة بطريقـة غير مُباشرة، وباتت تَقبل ببقاء الرئيس بشار الأسد في الحكم، وتتطلّع إلى حلّ سلمي

لالأزمة، أمّا دولة قطر فتُواجه حصاراً من أبرز أسبابه قُربها وعلاقتها الوثيقة مع إيران. كثيرون أخطأوا في حق سوريا، وكثيرون يتهيأون لارتكاب خطايا أكبر تُجاه المنطقة بالتزامن مع أمريكا وإسرائيل، ضد محور المقاومة، وإذا كانوا قد نجوا بأقل الخسائر من الأخطاء الأولى، وفي حق سوريا ولibia والعراق خصوصاً، ولو مؤقتاً، فلا نعتقد أن الحال سيكون نفسه في المرّة الثانية.

سوريا تتعافى هذه الأيام وبشكلٍ متسارع، وتتقاطر البعثات الدبلوماسية على عاصمتها، وكذلك وفود رجال الأعمال الذين يبحثون عن المال والاستثمار في ظل قرب معركة إعادة الإعمار، ويكتفي بالإشارة إلى أن السيد سعد الحريري، رئيس وزراء لبنان، ورجل السعودية فيه، والذي كان من أبرز المعارضين للقيادة السورية، ولم يُبق كلمة مُ شيئاً وإن وجّهها لها ورئيسها، السيد الحريري وفّعاليوم مرسوماً بتعيين سفير لبنان جديد في دمشق، وهو وفد برلماني أُردني كبير يستعد لشنّ الرّحال إلى العاصمة السورية، بعد آخر تونسي، والمُسبحة كَرَّتْ، مثلاً يقول المثل الشّامي.

العلاقة التحالفية "الاستراتيجية" بين قطر وإيران، وبين قطر وتركيا، وإن كانت الأخيرة بدرجة أقل، هي من أسباب توتر العلاقات بين السعودية ومحورها ودولة قطر، إلى جانب أسباب أخرى، وأمام قطر خيارات، إما أن تقطع هذه العلاقة كليّاً وتخترق خطوطاً قانية الأحمرار.

تفسيرات وتوضيحات و"مُروّنات" الشيخ بن جاسم تظل محدودة التأثير في نفس الجار السعودي، ومن الصّعب أن تستميل قلبه "المُتحجّر"، لأنّها تحدث عن الماضي، ولا تقترب من مطالب المستقبل، سواء كانت مقبولة أو مرفوضة، ومن يحكم السعودية اليوم غير الذي كان يحكمها طوال السنوات الخمسين الماضية، ولا بد أن الشيخ بن جاسم، الذي نعرف له بالذكاء، يدرك هذه الحقيقة جيداً.